منارات توحيدية

المرأة في التوحيد

نبيه القاضي

٢١
م

المرأة في التوحيد

٢١٠,٤
ق ن م

المرأة في التوحيد

نبيه القاضي

الكتاب: المرأة في التوحيد

تأليف: نبيه القاضي

التنضيد والإخراج: فاتن شمس

تصميم الغلاف: قصي كيوان.

الناشر: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٠٥

الناشر

دار كيوان

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ الحلبوني ـ الجادة الرئيسية

هاتف: ٢٢١٧٢٤٠ ـ فاكس: ٢٢١٧٢٤٠

E- Mail: Kiwanhouse@mail.sy

الإهداء

إلى..

مهـــا...

بسم الله الرحمن الرحيم

ألقيت هذه المحاضرة: في مقام "عين الزمان" بالسويداء بحضور سماحة الشيخ أبو نايف حسين جربوع الأكرم (شيخ عقل طائفة الموحدين) وجمع من حضرات الشيوخ الأكارم وجمهور من الأخوة والأخوات .

المرأة في التوحيد

لقد تعرضت المرأة عبر القرون المتطاولة إلى امتهان كبير، وظلم بليغ، وسلب لحقوقها وتجريد من إنسانيتها ،وحتى مع وجود الشرائع الإلهية ،في الكثير من الحضارات، فقد كان الرجل في كثير من حقب التاريخ، لا يعترف بشيء من حقوقها إلا بمقدار ما تسمح به الطقوس والعادات والتقاليد .

ومع أن الإسلام أعاد للمرأة اعتبارها ،غير أن ذلك لم يدم طويلاً إذ عادت رواسب الجاهلية ،وصار يُنظر إلى المرأة نظرة

دونيّة، وكأنها إنسان من الدرجة الثانية، وأسوأ ما في الأمر هو تبرير وتسويغ ذلك الظلم والعدوان من الناحية الدينية الشرعية، باختلاق نصوص موضوعة على لسان الشرع تارة، وبتحريف مقاصد بعض النصوص تارة أخرى .

ومنذ أن بزغ فجر التوحيد أخذت المرأة مكانة متميزة عن سواها،بحكم ما لها من اعتبار مُستَمدٌ من تعاليم المذهب، والعادات التي يكاد ينفرد بها الموحدون ، الذين يعتبرون المرأة عنواناً للشرف والكرامة،لذا وجب احترامها وصونها وحمايتها والذود عنها.

ولقد جعلت دعوة التوحيد الفضيلة والعفة والتسامي عن الشهوات الجسدية ركيزة أساسية لمنهجها الأخلاقي والاجتماعي، ولمعالجة الانحلال الخلقي في المجتمع الذي نتج عن انتشار تجارة الرقيق، والإكثار من الإماء والجواري في القصور والبيوت، وشيوع عادة الاستمتاع بالغلمان .فباشرت الدعوة عملها الإصلاحي، وذلك تمتيناً للروابط الزوجية من جهة وتدعيماً لأسباب الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة من جهة ثانية [١].

---

[١] – الدبيسي يوسف. أهل التوحيد، ج٢، ص١٢٣

لذا فقد خصّت الحكمة الشريفة الموحدات برسائل خاصة بهنّ .كما قال: «شفقة منه عليهنّ وحنواً لهنّ، وإجلالاً وشرفاً وإعزازاً».

والآن سنقدم لكم عرضاً موجزاً عن تعاليم المذهب التي رسمت الطريق للموحدات، ولمحة سريعة عن نشاطهنّ في المجالات الدينية والسياسية والوطنية .

تعاليم المذهب

لقد بين الإمام (ص) ما فُرض على الموحدات بقوله :

« يجب على سائر الموحدات أن يعلمن أن أول المفترضات عليهنّ، معرفة مولانا جل ذكره وتنزيهه عن جميع المخلوقات، ثم معرفة قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود ، ثم معرفة الحدود الروحانية بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم ».

ميثاق النساء.

ثم يضيف :

« فرضَ عليهنّ سبع خصال توحيدية دينية .

أولها وأعظمها : صدق اللسان .

وثانيها : حفظ الإخوان .

وثالثها : ترك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان .

ثم : البراءة من الأبالسة والطغيان .

ثم : التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان و دهر وأوان .

ثم : الرضى بفعله كيف ما كان .

ثم : التسليم لأمره في السرّ والحدثان .

فيجب على سائر الموحدين والموحدات حفظ هذه الخصال السبع والعمل بها » ميثاق النساء .

« فإذا فعلنَ ما فُرِض عليهنّ وتجنبّن ارتكاب ما نُهينَ عنه، وشكرن مولانا ومولاهنّ لَحِقن بالصالحين وكان لهنّ ثواب الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وتخلّصنَ من شبكة إبليس اللعين » ميثاق النساء .

ومن أهم الواجبات التي يحث عليها مولانا بهاء الدين (ص) حفظ المعلوم الشريف .

« واصرف ذهنك إلى تنبيه البنات الموحدات واحثثهنّ على حفظ الحكمة ،فأنت مطالبٌ بهنّ، وهنّ بتخلفهنّ عن حفظ الحكمة مطالبات » تقليد أبي الكتائب .

ويحذر مولانا من الإهمال والتواني عن حفظ المعلوم الشريف.

« ولكن التخلّف عن حفظ الحكمة هو الذنب العظيم، فبحفظ الحكمة والعلم ترتفع درجات المحقين، وبإهمالها تعرف الكذَبة من الصادقين » ـ البنات الكبيرة.

ثم يضيف قائلاً للموحدات:

«واجتهدن في حفظ الحكمة ، فتركها يُعَقِّب عقوبة وندماً واجعلن لها سهماً فيما تترنّمنَ به من الأغاني، وحظاً في قلوبكنّ كبعض حظ معرفتكنّ بالمثالث والمثاني » البنات الكبيرة .

وطلب العلم يعتبر فريضة على الموحدين والموحدات:

«ويكون طِلْبَةُ العلم على كل مؤمن ومؤمنة فريضة من هذه الطريقة لتتباين في التوحيد أهل الفضل » ـ المعراج .

ثم يقول في سفرٍ آخر :

«واحرصوا في طلب العلم وفي مصاحبة أولي الفهم » ـ الرشد والهداية .

«واحرصوا في طلب العلم واجتهدوا وهلموا إلى روح الحياة » . الرشد والهداية .

ويحمّل الدعاة مسؤولية إرشاد وتعليم الموحدين :

« فبتعليم الرجال الحقيقية للنساء الدينية انتقلوا من الجهل إلى العلم » ـ ميثاق النساء.

ثم يتابع :

« ولو لم تفاتحوهم بعلم الحقيقة الذي هو توحيد مولانا ـ جل ذكره ـ لوقفوا عند شرع التأويل، ولكان وقوفهم عند شرع

التأويل معرّة على دعاتهم » ـ ميثاق النساء .

وينبّه الداعي :

« أن لا يقرأ الرسالة على امرأة وحدها ،ولا في بيت ليس فيه غيرها لئلا يقعا في الخلوة بالتهمة عند الوحدة، ولو كانا مؤمنَين ثقات حتى تجتمع نساء كثيرات وأقلهنّ ثلاث . ويكون النساء من وراء حجاب أو منقّبات غير مسفرات.. ولا تتكلّم الامرأة عند القراءة عليها. ولا تضحك من الفرح ولا تبك من الهيبة والجزع » ـ ميثاق النساء .

ويحذّر الإمام الموحدات ، أن عليهن :

« أن يتجنبن قول الكافرات بمولانا جل ذكره الجاحدات له، ويجنبن أنفسهنّ الشهوات والشبهات وارتكاب الفواحش والمنكرات ، لينتفعنَ بإيمانهنّ ويظهر حسن أفعالهنّ على سائر النساء اللاتي هنّ مشركات بمولانا جل ذكره ويتبريّن مما يدخل الفساد في أديانهنّ ويوقع التهمة بهنّ وباخوانهنّ » ـ ميثاق النساء.

« فتدبَّرنَ معاشر الموحدات ما تسمعنه وقابلوه منكنّ بعقل رصين ولبّ حصين . فما يرضى منكنّ بالتقصير فقد بلغتَنّ النهاية. فإياكنّ أن تصرن آية » ـ النساء الكبيرة .

« وكذلك يجب على الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الطاهرات،التبرؤ من كل دنس ونجس، وعيب ورجس ».

ميثاق النساء .

لا يعرف التاريخ جماعة أحرص من الموحدين على طهارة الأعراض وصراحة الأنساب. فالمذهب يتشدّد في الحفاظ على العرض وفي الحذر والتحوّط لكل ما له علاقة بالمرأة استبعاداً للشبهات وتحاشياً للظنون يقول الإمام (ص) .

« الحذر الحذر معشر المؤمنات أن تنظر احداكنّ إلى رجل مؤمن أو مخالف إلا بالعين التي تنظر بها إلى ابنها أو أبيها ولتعلم أن المولى جلّ ذكره يراها حيث كانت وفي أية حالة كانت» . الدامغة .

وقال أيضاً :

« وغضّوا الطرف واحفظوا الفرج » وقدّم (ص) الوصية بغض الطرف لأن من غضّ الطرف بالكلية وحفظ فكره من الوسوسة والنيّة، فقد أمِن من الزنى بالفرج ». ثم يتابع:

« وليس يلزمكم غير طاعة مولانا جل ذكره وتوحيده، والقبول من حدوده وحفظ فروجكنّ إلا لبعو لتكنّ » . الدامغة.

أما المقتنى (ص) فيقول :

« أيها الأخوة الطهرة ، استدركوا حفظ أعراضكم بالرفق » . تقليد أبي الكتائب.

« وصونوا كرائمكم من الأخوات والأولاد » كتاب أبي اليقظان.

« فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن بل هو خُرَّمي[1] طالب الراحة والإباحة، راكب هواه وضلالته» . الدامغة.

ويكرر الإمام تنبيهه وتحذيره للمؤمنات: « فتيقّظْنَ من غفلتكنّ وارجعنَ إلى حقائق دينكنّ.واقبلنَ ما قاله مولاكنّ .وإياكنّ من ارتكاب الهوى، فما هلك من هلك إلا من أجل ذلك » . النساء الكبيرة .

« فتنبهن رحمكنّ الله وتلافين قلوبكنّ والرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل » . النساء الكبيرة.

كما يوصيهن بقبول مشيئة المولى سراً وجهراً:

---

[1] الخرّمية: بدعة نشأت في خراسان كان مذهبها الإباحة والتناسخ اشتد نفوذها بعد مقتل أبي مسلم الخراساني وثار زعيمها بابك على الدولة العباسية .قُضي عليه في عهد المعتصم سنة ٢٢٣ هـ . كان ينسب إليهم كل من لا غيرة له .

« ألم تسمعن في مجالسكن، أن من صبر على قضاء الله ،عبر به قضاء الله وهو مأجور. ومن جزع من قضاء الله عبر به قضاء الله وهو مأثوم » النساء الكبيرة .

« واعلموا أن الصدق هو التوحيد بكماله ،والكذب هو الشرك والضلالة » . الجزو.

« ومن لم يكن صادقا بلسانه ، فهو بالقلب أكذب يقيناً وأكثر نفاقاً » . البلاغ والنهاية .

« ولتكن كلمتكم واحدة ، وشملكم مجتمعاً وقولكم مؤتلفاً » . منشور آل عبد الله .

« واجمع شمل الموحدين وكن لهم في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السُنَّة التي رَسَمْتُ لهم » . تقليد الرضى.

«معشر الإخوان! الحذر الحذر أن تكونوا ممن يخشون على تمزيق أقمصتهم وغيبة صورهم... فإن من خشي من بشر مثله سُلِّط عليه.... وإن الموحّد الديّان بتوحيد مولاه شجاع غير جبان» . الغيبة .

الزواج

تُعتبر الأسرة عند الموحدين حجر الأساس في المجتمع،وبها يرتبط صلاحه أو فساده. لذلك يرون أن الرابطة الزوجية هي من أقدس وأعظم الروابط الإنسانية. شرّعها الله عز وجل لحفظ النوع البشري وتكاثره ،كما جاء في قوله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" الروم ٢. وبديهي أن العلاقة الزوجية ليست رهينة الحقوق المتبادلة فقط ، بقدر ما هي رهينة العواطف والمحبة المشتركة بين الزوجين .

وفرض المذهب على الزوج الإنصاف والمساواة مع زوجته بقول الإمام:

« والذي توجبه شروط الديانة ،أنه إذا تسلّم أحد الموحدين بعض أخواته الموحدات، فيساويها بنفسه وينصفها من جميع ما في يده » . شرط الإمام .

ويشرح الأمير السيد (ق): (أن مولانا فرض على الرجل المحق الصادق خمسة خصال اثنتان قبل الزواج .

الأولى : أن لا يتزوج إلاّ موحّدة ،ديّنة ،صادقة ،عارفة .فلا يجوز للموحد أن يتزوج امرأة على أملٍ ولا لعل ولا عسى أنها ترجع إلى التوحيد، بل يتزوجها على ما ظهر منها من المعرفة وحفظ العلم والأعمال الصالحة .

الثانية : أنه يعلم ويتحقق أنها راضية به وبشهادة صادقَين أتقياء فهاتان الخصلتان قبل الاتصال، والثلاث اللواتي بعد الاتصال هنّ :

الثالثة : أنها تسلّم نفسها إليه من غير جبر ولا قهر .

الرابعة : أنه يساويها بنفسه من كل شيء دنيا وديناً .

الخامسة : أنه ينصفها من جميع ما في يده من الدنيا .

فإذا تم الاتصال مع عطلان إحدى الخمسة فقد خالف مرسوم الحق وشرع التوحيد) .

وحدّد أيضاً قدّس الله سرّه خصال المرأة الموحدة والزوجة الصالحة: الدين، وحسن الخُلُق، والنّسب، ورصانة المعقول، وقوة الحياء ، وخفة المهر وأصل الأصول في المرأة الدين». ويتابع إرشاده: (ولا ينبغي على الرجل أن يتزوج امرأة منّانة ولا حدّاقة ولابرّاقة ولا شدّاقة .

فالمنّانة : هي التي تمنّ على زوجها فتقول له فعلت لأجلك كذا وكذا .

والحدّاقة : ترى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتدفع الزوج إلى شرائه.

والبّراقة : التي تقضي النهار بطوله وهي تصقل وجهها ليكون برّاقاً .

والشدّاقة : كثيرة الكلام) .

ويُفرض على النسوة أن يكون حياؤهنّ أشدّ وأعظم،ولا ينكشفن إلا على القليل من الرجال ،لأن النساء عورات وكل عورة يجب سترها.

والفرض اللازم من رب العالمين أن تكون المرأة داخلة في طاعة زوجها حافظة لحقوقه، ملازمة لخدمته ،مسارعة لامتثال أمره. ثم من الفرض اللازم على الرجل أن يحسن إليها ويعلّمها الدين والخير والآداب في أمر الدين والدنيا، ،ولا يجور عليها ولا يكلّفها فوق طاقتها. وإن ظلمها وجار عليها فتشتكيه إلى من يحكم عليه من مشايخ الدين وينصفها منه. فهذا شرع الدين فيما ينبغي بين الزوج والزوجة .

أما عفة المرأة فشرط لسلامة الزواج، وبتُوليّة الفتاة شرط لعقده، والمرأة بعد ذلك سيدة المنزل آمنة من طلاق ينفرد به الزوج اعتباطاً، ومن تعدد الزوجات الذي نهى عنه المعزّ لدين الله الفاطمي ، قبل ظهور الدعوة بخمسة عقود من الزمن، عندما خاطب شيوخ كتامة قائلاً :

« إني لا أشتغل بشيء من ملاذ الدنيا ، فافعلوا يا شيوخ في خَلَواتكم مثل ما نفعله، وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم فحسب الرجل الواحد الواحدة »[1].

وما إن أُعلِنت الدعوة حتى حرّمت تعدّد الزوجات،وأكدت استحالة العدل بين النساء الواردة في الآية ٣ من سورة النساء "وإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة ".

وأخذت بالآية ١٢٩ من السورة نفسها:

"لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " كما استندت إلى قوله تعالى: " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه " الأحزاب ٤.

إن الله تعالى ما حلل الزواج إلاّ للولدية لأجل إبقاء الجنس

---

[1] النجار ، عبد الله، مذهب الموحدين، ص، ٢٢٥

البشري .

وقال الأمير السيّد (ق):

(فالأولى والأليق والأحسن بالموحّد الديّان أن لا يجامع زوجته إلا للولد فقط. بل الواجب على المحق المتقي أنه إذا جامع زوجته أن يمسك نفسه عن المعاودة حتى ميعاد الحيض. فإذا جاء ميعاد المرأة في الحيض ورأت من نفسها الدم كعادتها الماضية فهذا دليل أن ما معها ولد) .

لذلك فقد حدّد التوحيد الحالات التي يُحرّم فيها الجماع :

١- يُحرّم الجماع في حالة الإرضاع ،فلا يجوز للمرأة أن ترضع الطفل وزوجها ينام في فراشها فإن ذلك يفسد لبنها ، فيعتلّ الرضيع وينفسد حاله ،فمنهم من بلغ الموت بسبب ذلك .

٢- يحرّم الجماع في حالة الحمل .إن العقول السليمة تشهد أن الله خلق الشهوة وركبّها في الإنسان لقصد النسل لا غير، فإذا جامع الرجل زوجته مع الحمل فقد خالف مراد وقصد الله .

٣- لا ينبغي للرجل أن يجامع زوجته وهي حائض فهو محرّم بنصّ الكتاب .

٤- ولا يجامعها في غير القُبُل فهو أشد تحريماً من المجامعة مع الحيض .

٥- المساحقة حرام شديد التحريم .

٦- ومن الواجب على الإنسان أن لا يتزوج إلا بالغاً لأن مجامعة غير البالغ لا تحلّ.

٧- إذا كانت الزوجة مبعودة إلى مدة معلومة فينبغي ويحسن ويليق أن يمسك الرجل نفسه عنها... وكذلك في حال كان الرجل مبعوداً .

٨- إذا كانت الزوجة صالحة ،ولم يجئها ولد، إمّا لأنها عقيم أو كبيرة في السن فينبغي أن يتعفف الرجل عنها ويمسك نفسه عن الجماع لكونه أيِسَ من الولد منها .

لا يحرص المذهب على تحريم تعدد الزوجات وعدم إعادة المطلقة إلى زوجها وحسب ، بل يحصر الزواج بين الموحدين وينهى عن ابتغاء النساء بالأموال وعن الاستمتاع بهنّ ولو آتين أجورهن فريضة، لأن الله حلّل النّكاح وحرّم السّفاح .

ولأن حدود الحقّ. أصفياء رب الخلق ما طلبوا من النساء اتصالاً البتّة، فصحّ أن ترك الشهوة فضل عظيم وشرف كبير،

ولأن حدود الحقّ تنزهوا عنها تنزُّها كلياً وهم وسطاء الله وسفراؤه، وأبواب رحمته وينابيع حكمته ».

« ومن نهى نفسه عن الشهوات البهيميّة كان أفضل من الملائكة المقربين » . الدامغة .

ظهرت في الآونة الأخيرة أطروحات متعددة حول كيفية ارتباط الرجل والمرأة على ضوء الظروف العصيبة والأوضاع الاقتصادية المتردية للمسلمين، فبعض يقتنع بالزواج المدني، وآخرون بالمسيار وقلّة بالزواج العرفي ، وجزء بالزواج المنقطع .

الزواج المدني: هو الذي يرجع بكل تشريعاته وأحكامه إلى القانون، وإن كان مخالفاً للإسلام وسائر الأديان فزواجهم لا يهمّ سواء بعقد شرعي وُقّع أم بمجرّد كتابة على ورق، كما أنه يبيح اقتران المسلمة "بكافر"، وإن كان هذا مخالفاً للقرآن الكريم والسنة المطهرة، ولاتفاق علماء الإسلام، ويخالفون زواج المسلم من "الكافرة " غير الكتابيّة وإن منع منه الإسلام .

زواج المسيار: هو زواج يقوم على أساس العقد الشرعي والإشهاد وتسمية المهر ورضى الولي.. اعتبرت السنة هذا

الـزواج بـاطلاً لأنـه يفتقـر إلـى الإشـهار والإعـلان، بينما الشيعة تعتبره صحيحاً .

الزواج العرفي : هو الزواج الشرعي المستكمل للشرائط إلا أنه غير مسجل قانونياً عند محاكم الدولة، ولكنه يقع بالصيغة الشرعية وأمام شاهدين ودون موافقة الولي .

الزواج المنقطع: هو أن يتزوج المرأة بمهر معلوم وبرضى وكيلها إلى أجل مسمى بالرضا والاتفاق، ولا يحتاج هذا الزواج إلى الطلاق. وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، حيث قال تعالى : "فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضةً "سورة النساء ٢٤٠ . [1]

إن التوحيد يحرم هذه النماذج من الزواج لأن الله سبحانه حلل الزواج من أجل الحفاظ على الجنس البشري وديمومته . وقال: « لم يرضع من ثدي الحكمة من لم يفطم نفسه عن الشهوة».

---

[1] شؤون الثقافة والتعليم (مكتب الإمام الخامنئي ـ سوريا) ثلاثون سؤالاً ومشبهة حول المرأة، ص٨٤، ٨٧ـ ٨٨، ٩٧.

الطلاق

كما كان التوحيد منصفاً في حالة الزواج كذلك كان عادلاً في أحكام الطلاق، إذ يحق لأي من الزوجين أن يطلب الفراق، علماً بأن الإسلام حصر حق الطلاق بيد الرجل والشريعة أقرت ذلك.

إن أوجب الحال فرقة بينهما، فأيهما كان المتعدي على الآخر يلقى المعاملة نفسها والحكم ذاته:

أ- إن اختار الرجل فرقتها باختياره، بلا ذنب لها إليه،فلها النصف من كل ما يملكه من ثوب وَرَحْل وفضة وذهب ودواب وما حاطته يده لموضع الإنصاف والعدل .

ب- وإن كانت هي المخالفة وليست تدخل من تحت طريقته فله النصف من جميع ما تملكه ولو أنه ثوبها الذي في عنقها .

على أية حال لا ينحلّ عقد الزواج إلا بحكم القاضي ويستحيل بعد ذلك إعادة المطلقة . وللقاضي أن يعيّن من أقربائهما حَكَمين لإصلاح ذات البين عملاً بقوله تعالى :

" وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ". النساء ٣٥ .

وللتفريق أسباب منها العلّة التي لا تسمح بالمساكنة، كالجذام أو البرص أو الزهري وما شابهها، أو الجنون أو الزنا أو الحبس لمدة خمس سنوات متتابعة، أو إذا غاب الرجل ثلاث سنوات استحال أثناءها تحصيل النفقة، أما في حالة العلّة فإن التفريق واجب إذا لم تبرأ في مهلة سنتين .

كما يُمنع الزواج من ذوات الرحم المحرم ، واللواتي تربطهنّ بالرجل صلة المصاهرة.

"ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف..."

"حَرُمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف..." النساء ٢٢-٢٣.

ولقد حَرّم مولانا على الموحدين والموحدات الخمر ومن يتخذها سكراً، والفواحش ما ظهر منها وما بطنّ، والإثم وقولَ الزور

وكتمَ الحـق فيمـا بينكـم وأنتـم تعلمـون، والذيـن يـأكلون أمـوال اليتامى والمستضعفين مـن النـاس.. ومـا ائتمنـوا عليـه والذيـن يعملون السوء أو الإثم، أو يكسبون خطيئـة ثم يرمون بها بريئـاً، فقد احتملوا إفكا وبهتاناً عظيماً، وحُرّم ذلك على الموحدين .

ولا تقرضوا أموالكم لتـأخذوا الربا أضعافـاً مضاعفـة،إن ذلـك كان على الموحدين محذوراً[1] .

---

[1] المنفرد بذاته، عرف المحرمات.

قانون الأحوال الشخصية

لقد حافظ الموحدون، في حقب التاريخ المختلفة،على خصوصيتهم فيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية . وصدرت بهذا الخصوص إرادات سنيّة وأنظمة عامة، بدليل ما ورد في المستند الآتي نصه :

«باب الفتوى... دائرة مشيخة الإسلام

صورة الأمر الوارد من مقام المكتوبجي عدد ٢٧٥

المشيخة الجليلة إلى نيابة شرعية قضاء حاصبيّا

إن الدعاوى التي تظهر بين الدروز بخصوص المناكحات والوصايا هي من القديم تُحلّ وتُرى بمعرفة رئيسهم الروحي ... - إلى أن قال - ولا يصير التدخل برؤيتها ..

٢٢ رجب ١٢٠٨ هـ،٢٩ شباط ١٩٠٦ شيخ الإسلام .

محمد لطفي»[1].

---

[1] طليع، أمين ، أصل الموحدين، ص: ١٤٤- ١٤٦

وصدر عن المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان القرار رقم ٦٠ بتاريخ ١٣ آذار ١٩٣٦ الذي ينص على أن الطائفة الدرزية هي من الطوائف التاريخية الحائزة على مميزات والمتمتّعة بمناعات اكتسبتها بموجب أوامر سنيّة وقرارات فضلاً عن أنها حائزة على حالة راهنة ناتجة عن تقاليد ترجع إلى أكثر من قرن

وفي عهد الاستقلال صدر عن المجلس النيابي اللبناني قانون الأحوال الشخصية المؤرخ في ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨، والمعدل بتاريخ ٢ تموز ١٩٥٩، وخص الدروز بالمادة ١٧١. وفي سورية صدر المرسوم رقم ٥٩ عام ١٩٥٣ والمعدل بالقانون رقم ٣٤ عام ١٩٧٥ الذي خص الموحدين بالمادة ٣٠٧ التي تنص على ما يلي :

أ- عدم تعدد الزوجات

٢- عدم إعادة المطلقة

٣- جواز الوصية لوارث وغير وارث

٤- طُبقّت حديثاً قاعدة التنزيل التي يحلّ بموجبها الأحفاد محل الأولاد في الإرث .

من تعاليم السيّد (ق)

ينير الأمير السيد السبيل أمام المرأة،ويرشدها في كيفية التصرف أثناء الحمل والإرضاع وتربية الطفل فيقول :

أ- **الحَمْل:** على المرأة الحُبلى أن تتقي فصد العروق والحجامة، والإسهال، والقيء والفزع الشّديد، والأصوات الهائلة، وشمّ الروائح القوية من روائح الأطعمة، إلى أن يأتي عليها أربعة أشهر، فإن اضطرها الأمر بعد ذلك إلى الفصد والحجامة والإسهال، فلتستعمل ذلك إن كانت قوية الجسد غير نحيفة إلى أن تجاوز الشهر السابع ثم تمسك أيضاً عن ذلك وتحذره، وينبغي للحامل العناية بفم المعدة حتى لا تشتهي الطين والأشياء الرّديّة. وعليها تجنب الحَمْل الثقيل والتعب العنيف ، والراحة الكلية .

ب- **الرّضاع:** لا يجوز للمرضّعة أن ترضّع الطفل وزوجها ينام في فراشها . فإن ذلك يُفسد لبنها ويُمرض الطفل. وينبغي أن يكون غذاؤها من أجود الأغذية وأبعدها من الفساد . وأن تتحرك فضل حركة وتروّض جسدها ولا تلزم الدّعة

والسكون، فإن ذلك يفسد لبنها. وإذا فُطِم الطفل فينبغي أن يُعوّد الطعام، ويبدأ بألينه وأخفه ويحظر عليه اللحم. (إن مدة الرضاعة حولين كاملين، إذا كانت صحيحة البدن).

ج- **تربية الطفل:** اعلم أن الصبي أمانةٌ عند والديه،وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورةٍ، وهو قابل لكل ما ينقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه. فإذا عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكلُّ معلّم ومُؤَدِّب له. وإن عُوّد الشَّر وأُهمل إهمال البهائم، شَقِيَ وهلك وكان الوِزْر في رقبة القيّم به والوالي عليه. وقال تعالى: " قوا أنفسكم واهليكم ناراً ".

فيجب أن يُؤَدّب الولد ويُعلَّم محاسن الأخلاق، ويُحفظ من قرناء السوء. ولا يُعوّد التنعّم ولا يُحبّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره فيها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد. فيجب أن يُحسن مراقبته، فإذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه،حتى يرى بعض الأشياء قبيحة ومخالفاً للبعض، فصار يستحي من شيء دون شيء. وهذه هدية من الله تعالى وهو مُبَشّر بكمال العقل عند البلوغ.

وأول ما يغلب عليه من الصفات شَره الطعام ، فينبغي أن يُؤدَّب فيه. مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول "بسم الله" عند أخذه، وأن يأكل مما يليه. وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يُحدِّق النظر إليه. ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل. وأن يمضغ الطعام ويعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات. ويُقَبَّح عنده كثرة الأكل بأن يُشبَّه من يكثر الأكل بالبهائم. وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يُكثّر الأكل. ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل.

ثم إذا ظهر من الصبي خلقٌ جميل ،وفعل محمود، فينبغي أن يُكرَم عليه ويجازى عليه بما يفرح به وأن يُمدح بين أظهر الناس.

ولا يُكْثَر القول عليه بالعتاب في كل حين. فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقُطُ وقع الكلام من قلبه. وينبغي للأم أن تُخَوِّفه بالأب وتزجره عن القبائح. وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلاً. ولكن يُمنَع الفُرُش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ،ولا يَسمن بدنه فلا يصبر عن التنعّم ،بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم. وينبغي أن يُمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقده

قبيحاً، فإذا تُرِك تعوّد فعل القبح. وأن يعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل . ولا يسرع في المشي ولا يرخي يديه.

ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده، أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه أو أدواته، ويُعَوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم .

ويُعلّم أن الرّفعة في العطاء لا في الأخذ. وأن الأخذ لؤمٌ وخِسّةٌ ودناءة نفس وإن كان من أولاد الفقراء، فيُعلّم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها. وبالجملة يقبّح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها، ويحذَّر منها أكثر مما يحذر من الحيّات والعقارب.

ويجب أن يعوّد أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخّط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضرب كفه تحت ذقنه،ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل .

ويعلّم كيفية الجلوس، وينبغي أن يُمنع من كثرة الكلام ويُبيّن له أن ذلك يدل على الوقاحة، ويُمنع من حلف اليمين صادقاً كان

أم كاذباً حتى لا يتعوّده في الصغر، ويمنع من أن يبتدي بالكلام ويُعوَّد أن لا يتكلم إلا جواباً بقدر السؤال، وأن يُحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً . وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللّعن والسبّ ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك.

وينبغي أن يعلّم طاعة والديه ومعلّمه وكل من هو أكبر منه سنّاً من قريب أو أجنبي، وأن يُخوّف من السرقة وأكل الحرام، ومن الكذب والخيانة والفحش، ويذكر له أن الأطعمة أدوية، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وانها دار ممر لا دار مقر، فإذا كان النشء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر .

وبعد أن قدمنا صورة مختصرة للتعاليم التوحيدية سنتحدث ولو بإيجاز عن أدوار الموحدات في المجالات الدينية والسياسية والوطنية .

أدوار المرأة

أَ- الدور الديني :

عُني الإمام (ص) بالنساء ، ولم يميز الرجل عنهنّ في شيء من لباب الحياة، وخاصة فيما يتعلق بتحصيل العلوم الروحانيّة، ولقد أستنّ لهنّ طرائق تمهد أمامهنّ السبيل للوصول إلى المعرفة،حيث تستوعب الألباب منها كل المناقب التي تجمّل بها المرأة نفسها. أمام ربها وعائلتها ومجتمعها، أما في النضال الروحي، فقد قلّدتها الدعوى بعض المناصب العالية، وأناطت بها المهام الخطيرة .

يحدثنا التاريخ أن فاطمة الزهراء (ر) كانت مُبَلِّغة[1] لمجتمع النساء في عهد والدها النبي "ص "، الذي كان يعتمد عليها في عرض أحكام الإسلام وتفسيرها،وعندما دعتها الحاجة إلى التبليغ في مجتمع الرجال لم تتوان عن ذلك، فقد خرجت إلى

---

[1] معنى التبليغ: هو إعلام الناس بالأحكام الإسلامية ، والمعارف الإلهية وتذكيرهم ووعظهم وإرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

مسجدهم وضُرِب بينها وبينهم حجاب،فخطبت خطبتها الشهيرة في الدفاع عن إمامة زوجها على بن أبي طالب (ع) .

الست سارة (١) :

وبعد أربعة قرون تتحمل الست سارة مهمة إخماد الفتنة في وادي التيم. أرسلها المقتنى، بعد قتل الداعي عمّار، على رأس وفدٍ من الدعاة، كان يضم أباها،بعد أن استدعى سُكيناً إلى الإسكندرية عام ٤٢٦ هـ(انظر الملحق رقم ١) .

لقد رضي الدعاة أن تكون على رأسهم امرأة، كما رضي أبو الحسن تقيّ بن أحمد الطائي أن يكون تحت أُمرة ابنة أخيه، فهكذا قضى نائب الإمام وهو الخبير بمنزلتهم ومنزلة هذه الفتاة عند الله.. فكتب إليهم:

« وقد أرسلت إلى جهتكم ابنتي سارة الكاملة العفاف والطهارة، الباذلة لدمها في طاعة المولى، تحققّاً باللحوق بالعالم الأعلى، ومعها أخي وشقيقي الأستاذ أبو الحسن تقيّ.. » رسالة الوادي.

فسارت سلام الله عليها على هذه النيّة إلى وادي التيم، لتصل الليل بالنهار، مجتازة المتاهات، إلى بر الشام وجبل لبنان، وأخذت تجول في البلاد داعية ناصحة منبّهة ومحذّرة،

فاستجاب لها بعض الناس، وكانت رحمةً عليهم لتصحيح ما في نفوسهم، مما جعل سُكيناً يغادر الإسكندرية خِفية ويعود إلى أتباعه بعد أن علم أن عدداً منهم قد عاد إلى التوحيد.

لكن الرِّدة اكتسبت بعداً جديداً عندما تدخّل مصعب التَيميّ ووشى بالمقتنى لدى الخليفة علي الظاهر، بأنه عاد إلى سابق عهده بنشر الدعوة، فما كان من الظاهر إلا أن وطّدَ العزم على ضرب الموحدين ثانية. (المرة الأولى هي محنة أنطاكية. أنظر ملحق ٢).

اضطر نائب المقتنى في القاهرة أيوب بن علي إلى التخفي هرباً من السُلطات، وستر المقتنى الدعوة من جديد في أواخر سنة ٤٢٦ هـ.

وبعد أن تفاقم خطر المرتدين وشاعت أخبارهم في بلاد الشام استدعى المقتنى الست سارة إلى مصر وطلب من الأمير معضاد القضاء بالقوة على سكين وشرذمته عام ٤٢٩هـ.

صالحة :

لبّى الأمير معضاد طلب مولانا بهاء الدين ، وتوجّه ورجاله إلى مكان العصاة إلى أن وصل عين ماء قرب قرية بَكّيْفا، قرب قرية تنّورة مقر سكين. فرأى فتاة تغسل سليقة،فطلب منها أن تسقي

فرسه،بعد أن حيّاها، لكن الفتاة لم تأبه به. فلما أعلمها أنه الأمير معضاد، امتلأ قلبها أملاً وأمناً، وقد جاء من يعيد إليها البشر والفرح وينجيها من أبيها ابي جمعة ذلك المرتد الذي ما فتئ يغرر بها لارتكاب الموبقات وأن يوقع بها ويُضلّها لتبيح نفسها لرفاقه وتمسي امرأة سوء تخدم مآربه الدنيئة.

أخبرت صالحة الأمير معضاد أن المرتدين سيجتمعون تلك الليلة عند أبيها في قرية يَذما. واتفقا على أن يذهب الأمير ويأتي برجاله ليلاً، وأن يكمن لهم في مكان قريب، وعلى أن تذهب صالحة إلى بيت أبيها متظاهرة بالمجون ، فتسقي العصاة الخمرة بعد أن تضع فيها مخدراً من البنج. حتى إذا أخذهم السّكر تخرج الفتاة وتمرّ بالسراج ثلاث مرات فيهجم الأمير ورجاله ويقضي على العصاة.

وهكذا كان، فبعد أن مرّت صالحة بالسراج، انقضّ رجال الأمير عليهم وأعملوا السيف فيهم، وكان الوقت صيفاً، والطغمة منتشرة في أرجاء وعلالي البيت،وسال الدم في الميازيب، وعندما تحسّسه وشمّه أبو جمعة أدرك أنه دمٌ وأن حيلة ابنته قد انطلت عليه. وأخذ يصرخ ويلوم ابنته على فِعلَتها بِصَحْبه، وسمعت صالحة صوته فنادت رجال الأمير دونكم رأس الحيّة!

فأدركوه وأجهزوا عليه،ولم ينج من الشرذمة إلا سكين الذي فرّ هارباً في حكم الليل وقاسى من التعب والبرد كل ويل، وما إن وصل إلى مشارف قرية عرنة حتى رأى بصيص نور فاتجه نحوه، وإذا بامرأة تخبز بالتنّور فَدَنا منها مستدفئاً، فلما عرفته تظاهرت بالشفقة عليه ثم أطعمته وسقته، فلما دفئ وشبع وارتوى أخذه الإغفاء، وإذا بالمرأة تأتيه من خلف وتدفعه بالتنور فمات حرقاً. هذا المشهور على ألسن الكثيرين. ومقرّر في عمدة العارفين.

لكن ذُكِر في الدّرر المضيئة، واللمع النورانية. نقلاً عن خواطر الشيخ الفاضل القدسيّة. أن الذي مات هو لاحق، ولعل الأرجح أن هذا الأصح والبرهان عليه من التواريخ الظاهرة.لقد أنبأت عن سكين أنه مات مصلوباً بالقاهرة و معه أصحابه. كما جاء في تاريخ أبي الفداء: في حوادث سنة ٤٣٤ في رجب، خرج بمصر رجل اسمه سكين، وكان يشبه الحاكم خليفة مصر، فادعى أنه الحاكم، وتبعه جماعة يعتقدون رجعة الحاكم. وقصدوا دار الخليفة وقت الخلوة وقالوا: هذا هو الحاكم، فارتاع من كان بالباب في ذلك الوقت، ثم ارتابوا منه فقبضوا

على سكين وصلب مع أصحابه .[1]

سارة (٢) :

على الرغم مما أبدى سادة الإحساء[2] من عواطف صادقة نحو الموحدين، إلا أنهم لم يتمكنوا من الجهر بالدعوة والنهوض بها قريباً من حدود الدولة العباسية.

أرسل المقتنى إلى ملوك الإحساء رسائل يفكّهم من عهد التأويل ويدعوهم إلى التوحيد مع شيخ من شيوخ الدعوة ومعه ولده، فتكبّروا على الرسول وحُجِب عن الوصول إليهم، فعاد ومات في الطريق ووصل ولده وأخبر المقتنى فقرّر تشكيل وفد من شيوخ الدعوة برئاسة الست سارة ، فكتب قائلاً :

« فبادرت على الصعب الشسيع بإنفاذ ابنتي سارة الطاهرة ومن معها وفي صحبتها من الأخوة الطهرة النهاة بهذا السّفر والصحيفة واستنهاضاً للسادة المكرمين قبل الفوات،وليغتنموا جزيل الثواب قبل حلول الميقات » ـ السّفر .

---

[1] خبايا الجواهر، ص ٥٥٢

[2] الإحساء: هي منطقة ممتدة على ساحل الخليج العربي وتلتقي بالربع الخالي جنوباً ومع نجد غرباً.

لكن المرض حالَ دون سفر الست سارة إلى الإحساء، فكتب إليهم المقتنى:

« ومن كُتّب هذا السّفر عَرَضَتْ موانع قَطَعَت الطاهرة عن السفر، وقد أنفذت الأخوة إلى مقر السادة ، وهم فيما يقفون عليه مخيّرون، ونحن لما يرد من طيبِ أخبارهم منتظرون » - السّفر.

وللمرة الثانية تُكلّف البتول سارة ، الكاملة العفاف والطهارة، المذكورة في رسالتين ، والمهاجرة في ذات الله هجرتين، بمهمة بالغة الأهمية بالنِسبة للدعوةِ في جزيرة العرب.

كانت الست سارة أولى النساء اللواتي تعرّضن لمثل هذه المجازفات، وكان عملها أنموذجاً لأخواتها الموحدات، ولم يكن اختيارها لهذه المسؤولية لقربها من المقتنى،بل على العكس،كانت معرضةً للقتل كما حدث للداعي عمّار. لكنها فُضّلت لعلمها وعملها وعفتها وطهارتها وما أوتيت من حكمة وحجة إقناع.

إن هذه البادرة الفريدة من نوعها في الشرق العربي،تثبت علوّ شأن المرأة في التوحيد ومساواتها مع الرجل حتى إن البعض يقول :

على سكين وصلب مع أصحابه .[1]

سارة (٢) :

على الرغم مما أبدى سادة الإحساء[2] من عواطف صادقة نحو الموحدين، إلا أنهم لم يتمكنوا من الجهر بالدعوة والنهوض بها قريباً من حدود الدولة العباسية.

أرسل المقتنى إلى ملوك الإحساء رسائل يفكّهم من عهد التأويل ويدعوهم إلى التوحيد مع شيخ من شيوخ الدعوة ومعه ولده، فتكبّروا على الرسول وحُجِب عن الوصول إليهم، فعاد ومات في الطريق ووصل ولده وأخبر المقتنى فقرّر تشكيل وفد من شيوخ الدعوة برئاسة الست سارة ، فكتب قائلاً :

« فبادرت على الصعب الشسيع بإنفاذ ابنتي سارة الطاهرة ومن معها وفي صحبتها من الأخوة الطهرة النهاة بهذا السّفر والصحيفة واستنهاضاً للسادة المكرمين قبل الفوات،وليغتنموا جزيل الثواب قبل حلول الميقات » ـ السّفر .

---

(١) خبايا الجواهر، ص ٥٥٣

(٢) الإحساء: هي منطقة ممتدة على ساحل الخليج العربي وتلتقي بالربع الخالي جنوباً ومع نجد غرباً.

لكن المرض حالَ دون سفر الست سارة إلى الإحساء، فكتب إليهم المقتنى:

« ومن كَتّب هذا السّفر عَرَضَتّ موانع قَطَعَت الطاهرة عن السفر، وقد أنفذت الأخوة إلى مقر السادة ، وهم فيما يقفون عليه مخيّرون، ونحن لما يرد من طيبِ أخبارهم منتظرون » . السّفر.

وللمرة الثانية تُكلّف البتول سارة ، الكاملة العفاف والطهارة، المذكورة في رسالتين ، والمهاجرة في ذات الله هجرتين، بمهمة بالغة الأهمية بالنِسبة للدعوةِ في جزيرة العرب.

كانت الست سارة أولى النساء اللواتي تعرّضن لمثل هذه المجازفات. وكان عملها أنموذجاً لأخواتها الموحدات، ولم يكن اختيارها لهذه المسؤولية لقربها من المقتنى،بل على العكس،كانت معرضةً للقتل كما حدث للداعي عمّار. لكنها فُضّلت لعلمها وعملها وعفتها وطهارتها وما أوتيت من حكمة وحجة إقناع.

إن هذه البادرة الفريدة من نوعها في الشرق العربي،تثبت علوّ شأن المرأة في التوحيد ومساواتها مع الرجل حتى إن البعض يقول :

و لـو كـان النســاء، كمـا ذكرنـا | لفُضّلـت النســاء علـى الرجـال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيبٌ | ولا التــذكير فخــرٌ للــهلال

٢- الدور السياسي

لقـد انطبعـت فـي نفـس المـرأة الموحـدة مزايـا وسـجايا كثـيرة اقتبسـتها مـن رسـائل التوحيـد ، وعملـت البيئـة الطبيعيّـة الاجتماعيـة علـى صـقل نفسـها وإنمـاء ميّزاتـها، فعلّمتها التجلّـد على احتمال المكاره والاستهانة بالمرض وخشونة المرقد والمأكل والملبس حتى لقد غدت في صلابة الرجال[1].

ومن النساء اللواتي تبوأن مكانات رفيعة ولعبن أدواراً بارزة :

١- الستّ نسب معن، والدة الأمير فخر الدين المعني الكبير :

امتـدح كثـير مـن مؤرخـي القـرن السـادس عشـر السـيدة نَسَـب، وأثنوا على شخصيتها الرصينة الحكيمة، وأشادوا بما خُصّت به من ذكاء متوقد ومضاء في العزيمة، وتَبَصُّر في رعاية وتوجيه وَلَدَيها اليافعين، فخر الدين ويونس،بعد مقتل زوجها الأمير قرقماز.

---

[1] أبو شقرا ، سامي، مناقب الدروز، ص: ٢٥٩

ولما استعاد أبنها إمارة جبل لبنان،بفضل جهود والدته وخاله، كانت المستشار المخلص له، ولا سيّما لدى تفاقم الأحداث وإحداق المخاطر،وحين اقتضت الأحوال السياسية لجوء فخر الدين إلى توسكانا الإيطالية عام ١٦١٣ أوكل إلى والدته شؤون البلاد، وإلى أخيه يونس قيادة الجيش، إلى أن عاد نهائياً عام ١٦١٨ م بعد عزل والي دمشق، عدو فخر الدين .

استطاعت بحنكتها و بحكمتها أن تفك الحصار عن قلعة الشقيف ومن فيها من الجنود، وان تسحب القوات التركية المسيطرة على الشوف، فعندما قابلت أحمد باشا الحافظ والي دمشق، قائد القوات التركية، قدمت له هدية ومبلغاً من المال، فقبل الهديّة ولكنه طلب كميّة أكبر من المال، فلبّت طلبه وأشبعت جشعه، لكنها خلّصت الجنود المحاصرين والهالكين لا محالة. وقد استثنت لنفسها حضور رجال الدين الموحدين، عندما كانت تقابل الحكام والأجانب [1].

٢- الأميرة حبوس ارسلان :

تولّت الإمارة بعد وفاة زوجها الأمير عباس عام ١٨٠٩ م، وكانت أبرز نساء عصرها وأظهرت قدرة فائقة في السياسة، وعرفت

---

[1] أبو صالح، مكارم... ص١٣٦.

بالحنكة وسداد الرأي وقوة الشخصية. حكمت منطقة الغرب في لبنان بتجرد وإخلاص على مدار ربع قرن. لبّت نداء الواجب الإنساني لترفع عن كاهل الشعب أغلال الاضطهاد والعنف والتجويع، فناضلت وواصلت احتجاجها جاهرة في طلب الحق لبيئتها بصلابة وحزم ضد سياسة الأمير بشير الشهابي، ثم أجلته عن الشويفات فسعى للتخلص منها إلى أن قُتِلت في كمين أُعدّ لها.[1]

٣- الست نايفة جنبلاط :

ابنة الشيخ بشير جنبلاط وزوجة الشيخ خليل شمس من حاصبيا، كانت مرجعاً لرجال السياسة يستنيرون برأيها وحكمتها، وكانت على جانب عظيم من الذكاء والحصافة والرصانة وشديدة العطف على الفقراء . ويقول فيها الشيخ جمال الدين شجاع :

[إن العطف الذي أظهرته أثناء محنة ١٨٦٠ في حاصبيا، برهنت على أن هذه السيّدة قد ارتقت إلى أرفع مستويات الإنسانية]، لقد لجأ إلى بيتها نحو أربعمائة من مسيحيي المنطقة، فبسطت عليهم حمايتها وصدّت عنهم المحاربين في

---

[1] زهر الدين، نايف، مناهل الحكماء والأولياء، ص٢٣٣.

الوقت الذي كان أبناء طائفتها يخوضون معركة الدفاع المستميت عن وجودهم في مختلف مناطق جبل لبنان ووادي التيم[1]. بعد ذلك أصرّت أن تصحبهم إلى المختارة ومن ثم أُرسلوا بحماية إلى صيدا،وأخيراً نُقلوا على متن باخرة إنكليزية إلى بيروت

٤- الست نظيرة جنبلاط :

والدة كمال جنبلاط، تسلّمت زعامة المختارة بعد وفاة زوجها فؤاد جنبلاط عام ١٩٢٢. وقد كانت شديدة الذكاء وعالية الهمة، طلاقةٌ في التعبير وعمقٌ في التفكير، وحشمة ورزانة في الملبس والمجلس . كان قصرها محجة من حلب حتى فلسطين، وكان مرتاداً من أقطاب لبنان، وكانت كالسيدة نَسَب تستدعي شيخ العقل عندما تقابل شخصيات سياسية أو أجنبيّة، وقيل فيها[2]:

[إن الكبراء والأجانب الذين يزورون لبنان لا يكونون قد انصفوا أنفسهم إذالم يزوروا البطريرك الماروني في بكركي والست نظيرة في المختارة] .

---

[1] الدبيسي، يوسف، أهل التوحيد، ج٤، ص ١٣٧

[2] زهر الدين، نايف ، مناهل الحكماء والأولياء، ص٢٣٤.

٣- الدور الوطني :

إن الجهاد هو حالة اجتماعية عامة يعيشها المجتمع بكل شرائحه ويقوم كل فرد بدوره ضمن مساحته وإمكاناته الخاصة. وإن كانت المرأة الموحدة لا تشارك عادة الرجال في ميادين القتال إلا في الحالات التي تستوجب الدفاع المستميت عن النفس، فإنها ليست بمعزل عن الأحداث فهي أم المجاهد أو أبنته أو أخته أو زوجته .

حملة ممدوح باشا ١٨٩٦ :

لقد شاءت الأقدار أن يكون للنساء دور رئيسيّ في تبديل مجرى الأحداث، عندما جهّز ممدوح باشا خمس كتائب في مطلع تشرين أول عام ١٨٩٦ ، إثر القضاء على المفرزة التي أُرسلت إلى عرمان (انظر الملحق رقم ٢).

بدأ القتال بين رجال عرمان والجيش التركي الكبير بعدَدِهِ ومعَدّاتِهِ منذ بزوغ الفجر إلى أن أوشكت الشمس أن تغيب، وكلّت سواعد المقاتلين وتفلّلت مضارب السيوف، فأخذوا بالانسحاب، عندما اشتد قصف المدفعيّة لخطوطهم الأمامية، وإذا بـ سعدى ملاعب تخترق الجموع بين النساء وتصرخ فيهم:

إلى أين ؟ رمّلوا نساءكم ويتّموا الأطفال ولا تتراجعوا! ومازالت تزغرد وتتخّي المقاتلين حتى ارتدوا وتواثبوا وصمدوا وتلاحموا مع الأتراك، فانكفأ الجيش ثم تحوّل تراجعه إلى هزيمة نكراء. فعاد الفرسان إلى بلدهم بعد أن تكلّل كفاحهم بالنصر المبين، وهم يهزجون :

علشانك سعدى ملاعب   بنفني كلّ الكتايب

ما بيرجع لقرابو السيف   حتى يسوي العجايب

حملة طاهر باشا ١٨٩٧ :

ثم قَدِمَ الموحدون من مختلف القرى وحاصروا ممدوح باشا في قلعة السويداء (٢٨ يوماً) مستخدمين الأسلحة التي غنموها من معركة خراب عرمان ، عندئذ جردت تركيا حملة كبيرة من ٥٤ كتيبة بلغ عدد أفرادها ثلاثين ألف جندي، جردتهم من حيفا حتى حلب مطلع عام ١٨٩٧،بقيادة المشير طاهر باشا.

نقل الدروز عائلاتهم إلى اللجاة واستعدوا لمواجهة القوات، قابل الثوار القوات الزاحفة نحو السويداء في تل الحديد، في معركة غير متكافئة، وصفها عبد الله كمال أحد الشعراء الشعبيين:

بتلّ الحديد شابوا الطفال المراضيع

و سعدى تتخّى بالعيال المضاريع

من الزغردات ماضي السيوف تقصّفوا

وجنودهم عالأرض بوشٌ مضاجيع

وخلف الشباب زينات تصرخ يا شباب

بسيوفكم حنوا ترابها بالنجيع

تل الحديد: جبل يقع إلى الغرب من السويداء.

تتخي: تثير حماسهم؛ بوش: جِمال؛ النجيع: دم مائل للسواد.

وكانت معركة المزرعة المعركة التي تناقلت أخبارها وملاحمها صحف العالم والتي تغنّى ببطولاتها الشعراء عبر القارات.

ففي صباح الثاني من آب قام الثوار بمهاجمة القوات الفرنسية الزاحفة من أزرع نحو السويداء، فتصدى لهم فرسان المغاربة (سبيهيس) واستدرجوهم إلى الكمين المُعَد لهم في تلّ الخروف حيث تساقطوا بالعشرات أمام المتاريس والاستحكامات ولم ينجُ من طليعتهم إلا القليل ، تراجع الثوار في اتجاهات شتى،ومنهم

من قصد إلى قرية نجران وحلّوا ضيوفاً على السيد عباس أبو عاصي زوج السيدة شمًا حيدر.

وبالرغم من تلقّي نبأ استشهاد ابنها البكر. فقد جهّزت للثوار طعام الغداء ورفضت أن يمُدّ أي منهم يده إلى الطعام إلا إذا وعد بالعودة إلى القتال. ثم تقدمت بينهم،وخلعت فوطتها عن رأسها، وقالت: أنا كشفت عن رأسي أمامكم، وسأدعو نساء المنطقة لتخلعن فُوَطَهنّ والسير إلى المعركة، إذا أخافتكم دبابات فرنسا! وما إن أكملت كلامها حتى رُدّتِ الروح إلى المجاهدين، وتعالت النخوات وتفازعوا وتواثبوا إلى المزرَعة في مساء اليوم نفسه ، وانقضوا على الجيش الفرنسي هازجين (انظر الملحق رقم ٤).

لعين شما ضربنا بالراس يا فرحة من صقر بنا

عاداتنا كسب النوماس من دور ابونا وجدنا

وصورة أخرى من صور المجاهدات تصف شعور النساء عندما وصل المنادي يطلب النجدة من أهالي أم الرّمان ليلحقوا بأخوتهم في المسيفرة. فقد وقع الخلاف بين رجال القرية لأن حامل البيرق قد توفي وليس له أبن أو أب أو أخ يحمله،تصاعد الخلاف وبدأت جماعة من المجاهدين تعود من حيث أتت،

فـهرعت السـيدة أم نسـيب علياء المغربي وأخـذت البـيرق وصاحت، إذا لم تتفقوا أنتم الرجال، سأحمله أنا وأنطلق مع نساء القرية إلى المسيفرة، فاجتمع حولها قرابة مئة امرأة يزغردن مما أثار حمية الرجال، فهبوا إلى الحرب وشاركوا إخوانهم في كتابة صفحات المجد.

طارت أخبار تلك الخنساوات المعروفيات مع الأثير. وتجاوزت حدود الزمان والمكان ووصلت إلى شواطئ البرازيل، إلى الشاعر القروي فقال فيهن :

ونساؤُهم ! لو تشهدون نساءَهم — في الحرب حاملة على الشجعان
كالماء أعذب ما يكون، و إنّه — لأشدّ ما يسطو على النيران
ينفخن في أشبالهنّ حماسة — تثب الصدور لها من الغليان
فكأنهم لبسوا بهنّ جوانحاً — طاروا بها للحرب كالعقبان

(أنظر الملحق رقم ٥).

وكانت بستان شلغين،من صميد نموذجاً فريداً في الشجاعة والكرم ، قال فيها المجاهد زيد الأطرش: هذه السيدة علَم من أعلام البسالة في الجهاد. كانت تحمل بارودتها وتحرس الثوار ليلاً، وفي الصباح تنهض ومجموعة من نساء القرية لعجن وخبز

١٠٠ كغ (خمسة أمداد) طحين مع الغْماس اللازم[1] وتملأ جرار الماء للشرب . تداوي الجرحى وتتابع قوافل المجاهدين مقدمة لهم كل ما يحتاجونه. وبعد أن انتهى القمح من بيتها باعت حُلي عُرْسها واشترت قمحاً لتتابع تقديم الطعام،جاؤوها يوماً بخبر مشؤوم وقالوا لها: استشهد أخوك مزْعِل، لكننا جئناكِ بجندي فرنسي حتى تأخذي بثأر أخيك بيدك ... نظرت إلى الشاب اسمر اللون عيناه سوداوان ، نحيل القامة فقالت: أظنه ليس فرنسياً، وقد يكون أتى إلى الحرب كارهاً وليس هو ثمناً لأخي، ففكّت وِثاقه وأطلقته .

يقول سلامة عبيد في كتاب الثورة السورية الكبرى ص ٣٨: إن مساهمة المرأة الفعالة قد برزت عظيمة الأثر،في تموين المقاتلين بالماء والزاد، بلا تذمر ولا تعب أو خوف. وكان لها الأثر العميق في الحض على القتال وتمجيد الأبطال وتربية الأطفال تربية غنية ببذور الفروسية المبكرة... ويضيف في الكتاب نفسه ص٢٤٥: لقد أثبتت المرأة في الجبل قدرة فائقة على تحمل ويلات الحرب ومآسيها بصبر وشجاعة... كنّ يبتعدن بأولادهن

---

[1] الغْماس: الطعام الذي يقدم وعادة يكون من النواشف.

وبالجرحى إلى الغابات والكهوف... الثورة مدينةٌ لهنّ..(أنظر الملحق رقم٦).

إن ما ذكرناه من مجاهدات ليس إلا على سبيل المثال لا الحصر. وكما يقول المجاهد زيد الأطرش: إن زوجة كل مجاهد مجاهدة مثله، فهي إنْ لم تشارك في المعارك والقتال تقوم بكل مهام الرجل من زراعة الأرض وجني المحصول ورعاية الماشية وتربية الأولاد. وإن لجهادنا معنيين، الأول: الحفاظ على الأرض الغالية، والثاني: علاقتنا بالمرأة تساوي علاقتنا بالوطن. والبطل منا تذكره النساء في غناء الأعراس والأفراح وتندبه الباكيات عدداً من السنين إذا استشهد، وفي كلتا الحالتين نبقى قيمة راقية في وجدان المرأة. وعندما ننصعق حماساً نقول: وأنا أخو فلانة!

قيدومنا حرٌ خوى[1] من عُلاها أخو سميّة قائد الجيش سلطان

مثلما كانت المرأة الموحدة في عصور الفتن والتقاتل سنداً للمقاتلين تثير بزغردتها النخوات وتضمد بمنديلها الجراح.. شهدنا المرأة نفسها في زمن السلم، زهرة باسمة في حديقة

---

[1] خوى: انقضّ.

الأخلاق وينبوعاً دافق الزُلال في التعليم والتوجيه، وفي زرع بذور المحبة والعفة والوعي الصحيح. وكانت هي ربة المنزل وأسخى من قدّم زاداً وألطف من استقبل ضيفاً، لا تفارق محيّاها بسمات الرضى والطهر والاحتشام[٢].

نستنتج مما تقدم أن المرأة الموحدة لعبت أدواراً مهمة، وقيادية أحياناً.. وما كانت تستطيع أن تقوم بهذه المهام لولا أن التوحيد ساوى بينها وبين الرجال .

من الممكن أن تجد في مجتمعاتنا العربية نساء أسهمن في تحرير أوطانهن لكن من الصعب أن نجد سيدات أخذن على عاتقهنّ إخماد الفتن الدينية في ظروف صعبة وفي بلاد نائية، أو تَسلَّمن مقاليد الأمور ومواقع القرار منذ أربعة قرون خلت إلى القرن الماضي. ومن بواعث اعتزاز الموحدات أن مذهبهنّ كان رائداً في تحريم تعدّد الزوجات منذ ألف سنة،واليوم تُسنّ قوانين في دول إسلامية مثل تونس،تحرم الجمع بين النساء وتضبط شؤون الطلاق .

يقول كبير شعراء تركيا "ضيا" : لا شك أن الخطأ في

---

(٢) أبو شقرا، سامي، مناقب الدروز، ص١٦٩.

تفسير القرآن كان من العلماء... فالتساوي ضروري :

دعونا نعد قراءة التاريخ مرحلة مرحلة، ومرة تلو الأخرى، ونأخذ منه العبر مما جاش في صدور النساء الموحدات، وما أقدمن عليه من تضحيات، وتميزن به من خلال وصفات،علّها تكون حافزاً أو مشعلاً ينير السبيل أمام الفتيات والسيدات،ليبتعدن عن واقع الانحراف خلف النموذج الغربي للمرأة في بعده السلبي،حيث الابتذال وعرض المفاتن واللهث وراء وصفات الإثارة والاستهلاك .

ما ابتغينا من هذه الدراسة المتواضعة طعناً لأحد أو موضوعاً للجدل،وما توخينا من بحثنا إلا إضاءة الطريق، آملاً أن يلاقي حسن قبول وإجابة على بعض التساؤلات، وتفسيراً لبعض الإشكالات .

وأخيراً: نسألك اللهم أن توفقنا لطاعتك وأن تجنبنا معصيتك وتعيننا على عبادتك. وتجعلنا من المتوكلين عليك. وأن تقربنا بأيسر الأعمال إليك. إنك على ذلك قدير ، وبإجابة هذا الدعاء جدير !!

السويداء . عين الزمان ٢٠٠٥/٩/٦

نبيه القاضي

ملحق (١)

الداعي عمّار

ولد عمّار في المغرب ونشأ فيها ثم أتى إلى مصر وخدم في دعوة المقتنى وكان من أكابر الدعاة، واستمر رضي الله عنه في حسن السيرة، حتى وصف بالشيخ والثقة المأمون والرسول الناصح، وداعي الحق، والشيخ الفاضل والوكيل، والشهيد، ورسول الأخيار، والمظلوم الطاهر .

لمّا ظهرت بوادي التيم بِدعُ سكين المشهورة، ومنها دعواه لمولانا بهاء الدين بالإمامة ولنفسه بالسّفارة، وحضّه على ترك التكاليف ونقض الفرائض والمرسومات وتصوير الدعوة أنها دعوة إلى الراحة والإباحة، وارتكاب الموبقات، واتّباع الشهوات، عندها أرسل المقتنى بطلب سكين عام ٤٢٦ هـ إلى الإسكندرية. وأقام عليه الحجّة ووعظه ونصحه فما أفاد ذلك بل استمرّ على ضلالته، وأخذ يحاول قتل المقتنى فما قدر عليه. فلما أيِس مولانا المقتنى منه أرسل الداعي عمّار إلى وادي التيم برسالة : القاصعة للفرعون الدّعيّ .

سار أبو اليقظان عمّار برسالة مولانا، ومعه سيفه وكساه،ولم يزل مجداً في السير إلى أن وصل قرية بَكِّيفا ونزل عند الشيخ أبي الخير سلامة بن حسن بن جندل ، فأفضى بالأمر إليه، وأطلعه على ما هو مُعَوّل عليه. وطلب منه المعونة والسعي معه، ليقرأ الرسالة على الشرذمة المجمّعين في منزل حسين بن شبيب في قرية كوكبا. وقرأ رسالة القاصعة على الملاعين، وبيَّن لهم قبح باطلهم ومُحَاله ، فانقضّوا على الدّاعي. وأوقعوه وجرحوه، ولم يريدوا القضاء عليه في ديارهم، لئلا يُؤخذوا بدمه، ولما خرج الداعي عمّار ووصل أرض إبل، لحقوا به وقتلوه وغيّبوه في رجمة أحجار ثم تقاسموا ثيابه، ولم يخشوا الله ولا عقابه، ثم جاؤوا في اليوم التالي لينقلوه، فرأوا رجماً كثيرة وحجبه الله عنهم،فلم يهتدوا عليه ولا عرفوه، فرضي الله عنه،وصلّى على من أرسله، ولعن من ظلمه وقتله[1].

---

[1] عمدة العارفين، ص ٧٠٥-٧٠٩

ملحق (٢)

محنة إنطاكية

قبل احتجاب الحاكم بأمر الله (س) استدعى الأمير عليّ واستحلفهُ أربعينَ قسماً بأن لا يقيم على الموحدينَ محنةً. ولما احتجب الحاكم بأمر الله في ذي القعدة سنة ٤١١ هـ ، اعتلى عرش الخلافة الأمير عليّ الذي اتخذ لنفسه لقب الظاهر لإعزاز دين الله، ونودي به أميراً للمؤمنين في العاشر من ذي الحجة سنة٤١١هـ .

قرّرَ الظاهر الانتقام من الموحدين لأنهم لم يعترفوا بإمامتهِ، بل آمنوا بإمامة حمزة بن علي،لكنه احتارَ أمام القسم الذي أخذهُ على نفسهِ بألا يصيبَ الموحدينَ بأذى. واستشارَ عاملهُ في حلب صالح بن مرداس علّهُ يجدُ مخرجاً لعهودهِ، فنصحهُ صالح بن مرداس بأن يَعُدّ كل يمين من الأربعين يميناً،قبالةَ يومٍ واحد. وهكذا كان . فلم يمض على احتجاب الحاكم بأمر الله أربعون يوماً حتى أقام علي الظاهر على الموحدين محنةً هدرَ فيها

دماءهم في أنحاء مملكته[1]. ولما قام الدجال اللعين بالمحنة، التي استمرت سبع سنين، والتي كان حدها من إنطاكية إلى الإسكندرية، اضطر المقتنى أن يستر الدعوة أكثر أيام المحنة.

ابتدأت المحنة من حلب بقتل (١٠١٨) شيخاً من الموحدين، وامتدت إلى إنطاكية فتحصّنَ الموحدون في قلعتها فحاصرها صالح بن مرداس واستعان بالروم على فتحها،وكانت المحنة التي نزلت في الموحدين في إنطاكية أشد مما كانت عليه في غيرها من البلدان وأطولها مدة. وقد وصفها المقتنى:

« الذين رفعوا بالبَلَس رؤوس الأشهاد على رؤوس الرماح وسقوهم بالجور والظلم كأس الذّباح، مع من أُغرقوا في البحار وأحرقوهم بلهيب النار، وذروهم في الرّياح، وقتلوا الجمّ الغفير بسيوف الأضداد، بعد سبي النّسوان والأولاد، وقطع قلوبهم والأكباد، وتعليق رؤوس الرّجال الموحدين في أعناق أخواتهم وبناتهم، وذبح الأطفال الرّضع في حجور أمهاتهم .فلم يرحموا صغيراً لِصَبوتهِ وصِغَره. ولم يعفوا عن كبيرٍ لشيخوختهِ وهرمهِ وكبرهِ.

---

[1] مكارم، سامي، مسلك التوحيد،ص٦٣

بل أجروهم على حد السيوف قتلاً وصلباً. وفي الشوارع شقاً لبطونهم وجراً لأرجلهم وسحباً. ولأموالهم وذراريهم سبياً ونهباً»[1].

لقد صبر الموحدون على هذه المحنة برضىً وتسليم ،لأن الإشارة قد سبقت في أماكن كثيرة منها قول سلمان الفارسي (س) .

فكأن دجّال القيامةِ أعورٌ قد ثار في يوم الكريهةِ من حَلَبْ

والرومُ أجمعُ عونُهُ وهو الذي لا شك موردُها الخَزيَةَ والحَرَبْ

وكذلك لمّا تظاهر الحاكم بأمر الله بلباس السّواد سبع سنين كان ذلك إشارة إلى أن المحنة ستدوم،بعد غيبته ،سبع سنين على أوليائه.

لذلك هانت على الموحدين الصّابرين ، وعلموا أن لابدّ من مصيرها، وإن كان فيها تبديل الأرزاق وتغيير الأجسام، ففيها تطهير العقول وتهذيب النفوس كما قال:

«أن تمنّ عليّ... بالصبر على ما ينالني من عبادتك من شدائد المحن والبلوى التي بها تهذّبت النفوس وبها صفت» . الدعاء المستجاب.

---

[1] مجرى الزمان،ص ٣٢٤-٣٢٥ . إيضاح التوحيد.

وعندما أُرسلت الست سارة إلى وادي التيم لإخماد فتنة سُكين، اضطرت أن تصل الليل بالنهار مجتازة المتاهات إلى برّ الشام وجبل لبنان . لقد اضطرت لذلك لأن عيون الدولة كانت منتشرة في القرى والمدن والطرق السالكة بين مصر والشام باحثة عن الموحدين إضافةً إلى الدوريات التي كانت تتعقب أثرهم . ولقد أشار المقتنى إلى الصعوبات التي كان يواجهها في مراسلة شيوخ الدعوة في جزيرة الشام مما دعاه إلى استعمال المجاز والرموز في بعض رسائله:

« إن التجارة في مصر قد كسدت،لما فيها من ضيق السّعر،ولم يبقَ في كل بلدة غير السِّمة القديمة والذكر ». يعني ذلك أن الدعوة في مصر قد خمدت لكثرة ما كانوا يعانون من مضايقة السلطة ولم يبقَ سوى المستجيبين القدامى المداومين على المذاكرة ،وقال أيضاً :

«إن الزيتون والكرم والتين، بعد أن أكله الجراد، رجع وحملَ حملاً جيداً ». يعني ذلك بعد أن أفسدت الشرذمة بتعاليمها بعض أوساط الموحدين ،عادت الدعوة إلى طبيعتها وأخذت تعطي نتيجةً مثمرة.

ملحق (٢)

الشعر الشعبي والنضال ضد الأتراك

فُتن ممدوح باشا بجمال ميثاء الأطرش، أرملة محمد الأطرش، شيخ صلخد، عندما قابلته ليحافظ على حق ولدها القاصر من شقيقيه لوالدهم نسيب وجاد الله. طلب ممدوح الزواج منها فرفضت، ولما لم تجد الحماية عند رجال صلخد، التجأت إلى والدها حسين الأطرش شيخ عرمان، فلما علم ممدوح باشا بذلك أوعز إلى قبيلة (الصفيّان) بالاعتداء على مزروعات عرمان، فلما عاقب حراس المزروعات(النواطير) البدو الرعاة على إساءتهم اشتكى الرعيان إلى السلطة بالسويداء، فأرسل ممدوح باشا طلباً بقدوم أربعة من أعيان القرية، فتوجه إلى السويداء إبراهيم الجرمقاني وصالح الحلبي و هلال العطواني ومحمود صيموعة، ولكن مختار السويداء محمود جربوع نصحهم بعدم المُقابلة خوفاً من أن يُغْدَر بهم،فغادروا إلى قريتهم ودعوا أعيان المقرن إلى اجتماع سري في خربتهم (المجدل)، وتعاهد أعيان المقرن على نجدة كل قرية تتعرض للعدوان التركي.

أرسل ممدوح باشا مفرزة تركية بقيادة ضابطين أحدهما مشرف رضوان، من السويداء، قدموا بحجة اعتقال النواطير. كان الضابط مشرف ماراً ومحمود أبو خير يقدم الطعام لضيوفه الجنود، دعاه للغداء قائلاً: تفضل للغدا الاحق تأخذ زُلم! فأجابه مشرف: «آخذ زلم وآخذ راسك أيضاً ! » .

فغضب محمود أبو خير وامتشق حسامه وهجم على الضابط، ولكن الجنود عاجلوه بإطلاق النار من الخلف فأردوه قتيلاً،وما إن شاع نبأ اغتيال محمود أبو خير حتى انتقم له رجال عرمان بقتل الجنود المسؤولين عن الجريمة، وقد تحصن الباقون في مضافة إبراهيم الجرمقاني ورموا بندقية أمام الباب كمصيدة لقتل كل من يتقدم لتناولها، عندئذ صعد الرجال إلى سطح المضافة وثغروه، ونزلوا وقتلوا الجنود بالسيوف والخناجر ولم يسلم منهم سوى ثلاثة، بينهم أبن الضابط مشرف، لأنهم استجاروا بالنساء فحموهم وهرب خيّال كردي وأخبر ممدوح بما حل بالمدير والجنود.. على أثر هذه الموقعة جهّز ممدوح باشا أربع كتائب من المشاة وكتيبة من الخيالة[*] وأمرهم بالتوجه لتدمير عرمان وقتل أهلها. في تشرين أول عام ١٨٩٦ .

---

[*] بقيادة غالب بك ورضا بك.

عن سعيد الصغيّر: "بنو معروف في التاريخ" ص ٤٦٢-٤٦٣ .

كانت الخطة أن يدخل الجيش التركي ليلاً لقتل سكان القرية رجالاً ونساءً، ولكن الدليل تاه بالجيش طوال الليل بين جدران خراب عرمان المهدمة. وعند بزوغ الفجر، اصطدم الموحدون مع الأتراك، وفي الوقت نفسه ابتدأت تصل رجال القرى المجاورة لنجدة أخوتهم. فأول من وصل كان رجال صلخد، لأنهم شعروا بمسؤوليتهم إزاء هذه الحرب التي كان من أسبابها الدفاع عن أرملة شيخهم. واستشهد منهم سبعون محارباً، ولقبوا من ذلك التاريخ بالزغابة لما أظهروه من شجاعة في المعركة.

أحدق الموحدون بالقوات التركية من كل جانب وقتلوا نحو ألفي جندياً وغنموا كل ما لديهم من الذخيرة والأسلحة ومدفَعَّين. أما خسائرهم فكانت أقل من مائتين.

ووصف شبلي الأطرش هذه المعارك، من منفاه في (ازمير) بعد أن تلقى أنباءها من الشاعر عبد الله كمال (٨):

جانا خبر من يم (صلخد وعرمان)

نعمين بوجوه الذياب المثالي(١)

عبدو أفندي شارب الكاس خمران

جاهم يهادر مثل فحل الجمالي[٢]

جوه النشاما وبعدو الصبح ما بان

هدوا عليه قصور شمخ عوالي[٣]

وللحين تحت الردم من غير دفّان

مع مشرف آغا لجهنم يوالي[٤]

من عقبها صارت معاريك وكوان

تشيب الولد الرضيع الهوالي[٥]

ألفين من حمر الطرابيش سقمان

بـ (عيون) ذبحوا من القروم العيالي[٦]

ضبع الكويرس عازمو ضبع حبران

وصار اللحم بالعون مثل التلالي[٧]

(١) يم: جهة؛ نعمين: أنعم لكل من صلخد وعرمان.

(٢) جاهم: أتاهم.

(٣) هدوا: هدموا.

(٤) دفّان: من يقوم بدفن الميت.

(٥) كوان: معارك.

(٦) حمر الطربيش: الجنود الأتراك (العيون) مكان قرب عرمان.

(٧) الكويرس: تصغير لقرية الكارس؛ حبران: اسم قرية؛ بالعون: تلفظ بِلْعُون أصلها: بِعَوْنِ اللّه أو العَون وتعني: هكذا، وكذلك..الخ.

(٨) ديوان شبلي الأطرش، ص٧٣.

ملحق (٤)

الشعر الشعبي والثورة السورية الكبرى

لقد غنّى الشعراء الشعبيون الملاحم والبطولات الخارقة في معارك الكفر، وتل الخروف والمزرعة.

وقد لمع نجم الشاعر صالح عمار، إذ تحولت قصائده إلى أهازيج حربية، وكلمات تغنى على الربابة، وقصائد تردد في الحفلات والأعراس .. قال يصف معركة تل الخروف:[*]

يا الله يا ربّ القدّار يا خالق موج البحار
تخمد نار الأعادي يا ربّي تعزّ الثوّار

يا ربّي تعزّ الدروز ع فرنسا خذون الفوز [١]
مدافع ومتورة لوز واحرقنا الدبابة بنار [٢]

من ضرب بني معروف ما ينحاهم درب الخوف
يا وقعة تل الخروف [٣] تشبه لوقعة ذي قار
يا وقعة تل الحديد تسمع للموزر هويد[٤]

---

[*] نصر، حسين القيسي، قبسات من التراث الشعبي، ج٢، ص ٣٩-٤٢.

كسـبنا مـتر اللـوز جديـد فرنسـاوي شـغل الشـطار

(١) خذون: أخذوا.

(٢) متورة لوز: جمع متر لوز. أي رشاش أتوماتيكي.

(٣) تل الخروف وتل الحديد: تلان غرب السويداء.

(٤) هويد: دَوِي.

ووصف ملحمة الكفر:

البارحـة جانـا خـبرْ ريّـك فَتَـلْ دولابـها [١]
عُرمـان سـالت عـالكفرْ ذبـح العراضـي دابـها [٢]
وصُرّيـة ملـح توطـا الخطـرْ حـس المصـوّت جابـها [٣]
الحملـة غـدت مثـل الشـجر يـوم غـوي حطابـها
مـا ظـل منـها ولا نفـر وتشـالخوها ذيابـها
المقـرن القبلـي انتصـر حريـة خبطـها وصابـها [٤]
"موريـل" بالقلعـة انحصـر سـكّر حصـون ابوابـها [٥]
سـلطان عالصـايح أمـر صـاح وجذبـها وجابـها

(١) ولّيناها: كسبناها. (٢) بواريد: بنادق.

(٣) بات: نام. (٤) المقرن القبلي.

(٥) أموريل: قائد الحملة الفرنسية.

لقد تغنى صالح عمار ببطولات بني معروف ونصرهم المبين في المعركة. فأوجز وأجاد، ورسم صوراً أخّاذة لمن قدموا أرواحهم قرابين على مذبح الحرية، على أرض الجبل الأبي في المزرعة:

يـا اللـه ويلّـي حـاجز مـوج البحـرْ

يـا معتلـي لنّـك دعانـا تسـمع [1]

تجعـل سـعدنا عاليـاً فـوق البشـرْ

قيدومنـا يشـبه شـبيب التُبّعـي [2]

لصـار حنـا نجـوم وسـلطان القمـرْ

خمس طَعش نيسان ويوم يطلـع [3]

غربي السـجن عالمزرعـة وشـرقي بُصُرْ

الدّم الفرنسـي بـالمواطي منقّعـي [4]

أهـل نجـران تفـازعو عنـد العصـر

كسبوا الذخـاير والكلـل والمدفـع [5]

مشـروبنا يـوم اللقـا الـدّم الحَمَـرْ

عدونـــا كـــاس الصـــبر يتجـــرَّعْ

كـم فـارس منّـا علـى الخصـم انحـدَرْ

مثـل الصواعـقْ مـع بـروق تشـلَع

"ميشـو" هـرب و"ترانكـا" هـجْ ومـا صـبرْ

تركـوا طوابـير العسـاكر قُطَّـع [٦]

(١) ويلّلي: يا مَنْ صاحب القدرة؛ معتلي: عالياً؛ لنّك: لو أنك.

(٢) قيدومنا: زعيمنا أو قائدنا..

(٣) خمس طعش: خمسة عشر.

(٤) السجن، وبُصُر: قرى غربي السويداء؛ المزرعة: مكان المعركة.

(٥) نجران: اسم قرية؛ تفازعوا: تساعدوا؛ الكلل: القنابل.

(٦) ميشو: قائد الحملة الفرنسية في معركة المزرعة؛ ترانكا: قائد فرنسي.

وهذه أهزوجة غنّاها المجاهدون مساء الثاني من آب وهم في طريقهم لملاقاة العدو في معركة المزرعة:

لعيونـــك عبـــلا وشـــما   منحطٍّـــم الدبابـــات
والمدفـــع مـــا منســـدّو   إلا ببيـــض الشاشـّـيات[1]

(عبلا حاطوم وشما أبو عاصي).

[1] جرت العادة أن يسدّ الموحدون فوهات المدافع بعمائمهم، أو الشاشيات (اللفّات).

ملحق (٥)

تحية شاعر الأرجنتين للموحدة المناضلة

وامتدت موجات العطر إلى شواطئ الأرجنتين ، فحيّاها الشاعر حنا جاسر، ورسم صورة من وحي خياله تضمّ سعدى ملاعب وبستان شلغين، حيث كتب أسمائهن بأحرف من نور على بيرق الحرية و الوطنية .

سعدى وبستان

يا أختين زغردتا

في الكفر

والسيف في كفيهما شررٌ

رجعُ الصهيلِ

وأعراس الردى

استعرت ، قصّا على الكونِ

كيف العرس يستعرُ

تلك الصدورُ
التي أثداؤها عبق
كيف استحالت لظىً
يهمي وينهمرُ

خضرُ الدلالِ
ثناه القهر فانتفضتْ
أطرافهُ بسلاح القهرِ
تأتزرُ

جاع الصغارُ
ولا بأسٌ فأمهم
بينَ الأشاوس
زاد الحرب تعتمرُ

ملحق (٦)

تضحية المرأة الموحدة

لقد وصلت درجة تضحيات المرأة المعروفية إلى أسمى درجات الإيثار وأرقى حالة من حالات التفاني من أجل الوطن .

روى سلامة عبيد في كتاب « ذكريات الطفولة »، عن مشهد رآه بأم عينيه فصاغه في قصة بعنوان « سَكّتِي ابنك يا حُرْمة » .

تدور الأحداث في السفح الشرقي للجبل عام ١٩٢٦الوقت ليلاً، الفرنسيون يدقّون أوتاد الخيام، خيولهم تتراكض في السهل المقابل للمغارة التي تأوي عدداً من المجاهدين وفي العمق عددٌ من النساء والأطفال والشيوخ، يالهول المنظر عَدَدُهم كبير وعُدَدهم لا تحصى، فليس إذن من البطولة أن نهاجم لأنهم بكواشف الضوء يستطيعون صيدنا. النساء يبكين، الأطفال شعروا بالرعب فصمت بعضهم في أحضان الأمهات وأخذ البعض الآخر بالبكاء .

ارتفع صوت " سكتوا أولادكم يا حريم "، فساد الصمت إلا طفلاً ظلَّ يبكي ويعول ويزداد عويلاً، وظلّت الأم الشابة تلاطفه حيناً

وتشدّ على فمه حيناً،تحمله على صدرها تارة وترفعه بعصبية تارة أخرى .

ظلّ صوته يرنّ في أجواء المغارة فتردّدُ أصداءه وتُضخّمها وتُضاعفها فتنعكس في المسامع القلقة مثل جوقة الطبول والأبواق.. لماذا لا يريد أن يسكت ؟ يرفس بقدمه العارية رأس أمه وكتفها، "سكتي أبنك يا حرمة " و تردّد النداء خافتاً من فم إلى فم: سكتي أبنك يا حرمة ! إلى أن قال: « رأيتها بعينيَّ الاثنتين ترفع طرف اللحاف وتسدّ به فم الطفل ثم تتكئ على اللحاف بمرفقها وفمها يردد شبه أدعية وصلوات ، بدأ صوت الطفل يهدأ ثم يتلاشى ويختفي... وبدأت ضربات القدم الصغيرة العارية تهدأ ثم تهمدُ تماماً،فيسود الظلمة صمت رهيب تكاد لا تسمع في ثناياها إلا خفقات واجفة مذعورة . وعندئذ رفّ في جنبات المغارة شبه نفثة من دخان أو حفيف منديل حريري يتراقص ثم يَفِرُّ منطلقاً نحو الفضاء الملتحف بعباءة الليل الداكنة،همهمت بعضهن: وطواطٌ مذعور،وغمغمت بعضهن: (روح تفارق جسدها).

أبَعْدَ هذا شجاعة وجهاد وإيثار ؟!!

المصادر

I- مراجع توحيدية:

١- التنوخي، السيد الأمير جمال الدين عبد الله، شرح الرسالة ٥، مخطوط.

٢- الأسفار التوحيدية . مخطوط.

٣- الأشرفاني، الشيخ محمد. عمدة العارفين. ٣ أجزاء مخطوط.

٤- العيد، الشيخ ناصر. الدّرر المضيئة واللمع النورانية. مخطوط.

٥- تقي الدين، الشيخ زين الدين عبد الغفار. كتاب النقط والدوائر. مخطوط.

٦- تقي الدين، الشيخ زين الدين عبد الغفار. مختصر البيان في مجرى الزمان. مخطوط.

٧- العقيلي، الشيخ يوسف. خبايا الجواهر. مخطوط.

II- مراجع دينيَة:

١- القرآن الكريم. تفسير الجلالين.

٢- القرآن الكريم. تفسير البيضاوي.

٣- الكتاب المقدّس.

٤- مصحف المنفرد بذاته، مخطوط.

٥- الشريعة الروحانية في علوم اللطيف والبسيط والكثيف، مخطوط.

٦- ثلاثون سؤالاً وشبهة حول المرأة. شؤون الثقافة والتعليم في مكتب الإمام الخامنئي. سوريا، دار الواء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

III- كتابات دينية:

١- أبو راشد، حنا، جبل الدروز.

٢- أبو شقرا، سامي، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ.

٣- أبو صالح، مكارم، تاريخ الموحدين السياسي.

٤- الدبيسي، يوسف، أهل التوحيد "الدروز" وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية ج٢وج٤.

٥- زهر الدين، نايف، مناهل الحكماء والأولياء ومآثر الأعلام الموحدين.

٦- الصغير، سعيد، بنو معروف في التاريخ.

٧- طليع، أمين. أصل الموحدين الدروز وأصولهم.

٨- عبيد، سلامة، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد "١٩٢٠-١٩٢٧"

٩- عبيد، سلامة، ذكريات طفولتي.

١٠- مكارم، سامي، مسلك التوحيد، بيروت، ١٩٨٠.

١١- النجار، عبد الله، مذهب الموحدين "الدروز"

١٢- نصر، حسين القيسي، قبسات من التراث الشعبي، ج٢.

١٣- نويهض، عجاج. التنوخي (الأمير جمال الدين عبد الله) والشيخ محمد أبو هلال (المعروف بالشيخ الفاضل).

IV- شعر:

١- الشاعر حنا جاسر.

٢- الشاعر شبلي الأطرش.

٣- الشاعر صالح عمار.

٤- الشاعر عبد الله كمال.

٥- الشاعر القروي.

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة ٧
المرأة في التوحيد ٩
تعاليم المذهب ١٣
الزواج ٢١
الطلاق ٢٩
قانون الأحوال الشخصية ٣٣
من تعاليم السيّد (ق) ٣٥
أدوار المرأة: ٤١
الدور الديني ٤١
الدور السياسي ٤٨
الدور الوطني ٥٢
ملحق (١) الداعي عمّار ٦١
ملحق (٢) محنة إنطاكية ٦٣
ملحق (٣) الشعر الشعبي والنضال ضد الأتراك ٦٧
ملحق (٤) الشعر الشعبي والثورة السورية الكبرى ٧٣
ملحق (٥) تحية شاعر الأرجنتين للموحدة المناضلة ٧٩
ملحق (٦) تضحية المرأة الموحدة ٨١
المصادر ٨٣

إن موقع المرأة في الأسرة قد اختلف باختلاف المجتمعات، فكانت تعاني من الاضطهاد منِ أثر التقاليد والعادات المتوارثة جيلاً بعد جيل، مما نمّا فيها صفات الخضوع والقبول والذل وفقدان الرأي.

ومع بزوغ فجر التوحيد استعادت المرأة كرامتها، وأخذت دورها في مجتمع إنسانيٍ عادل يتيح لأفراده نساء ورجالاً فرصاً متكافئة، فبرهنت المرأة عن جدارتها وكفاءتها دينياً واجتماعياً وسياسياً ووطنياً.

دعونا نَعِدْ قراءة التاريخ، ونأخذ منه العبرْ مما جاش في صدور النساء الموحدات، وما أقدمنَ عليه من تضحيات وتميزنَ به من صفات، علّها تكون مشعلاً ينير السبيل أمام فتيات ونساء اليوم، ليبتعدنَ عن الجريان خلف النموذج الغربي، في بُعده السلبي، حيث الابتذال وعرض المفاتن واللهث وراء وصفات الإثارة والاستهلاك.

سعر النسخة

100 ل.س

3 $